٧٨٢٨

٩٤/١٢/١٤
١
١
ص ٤٤٢

شرح
الباب الحادي عشر
دروس في أصول العقيدة

من أبحاث المرجع الديني
السيّد كمال الحيدري دام ظله

الجزء الأوّل

بقلم
الشيخ عبد الله الأسعد

www.ketab.ir

سرشناسه : اسعد، عبدالله
عنوان قراردادی : دروس فی علم‌الاصول . برگزیده . شرح
عنوان و نام پدیدآور : شرح‌الباب‌الحادی عشر من ابحاث المرجع‌الدینی السید کمال الحیدری
مشخصات نشر : قم : دارفراقد، ۱۳۹۴.
مشخصات ظاهری : ۲ ج.
شابك : دوره: ۹-۰۷-۷۷۹۹-۶۰۰-۹۷۸؛ ج.۱: ۶-۰۸-۷۷۹۹-۶۰۰-۹۷۸
وضعیت فهرست نویسی : فیپای مختصر
یادداشت : فهرستنویسی کامل این اثر در نشانی: http://opac.nlai.ir قابل دسترسی است.
یادداشت : عنوان دیگر:
یادداشت : کتابنامه.
شناسه افزود : حیدری، سیدکمال، ۱۳۳۸ -
شماره کتابشناسی ملی : ۳۸۵۳۵۵۳

شرح الباب الحادي عشر

تقريراً لدروس السيد كمال الحيدري

بقلم: ..... عبد الله الأسعد
نشر: ..... دار فراقد
الطبعة: ..... الأولى/ ١٣٩٤ش
المطبعة: ..... وفا
عدد النسخ: ١٠٠٠
ردمك ج١: ٩٧٨-٦٠٠-٧٧٩٩-٠٨-٦
ردمك الدورة: ٩٧٨-٦٠٠-٧٧٩٩-٠٧-٩

www.ketab.ir

مقدّمة المقرّر

بسم الله الرحمن الرحيم

أقول في البدء كما قال الحكيم السبزواري رحمه الله:

يا واهب العقل لك المحامد	إلى جنابك انتهى المقاصد
يا مَن هو اختفى لفرط نوره	الظاهر الباطن في ظهوره
بنور وجهه استنار كلّ شيء	وعند نور وجهه سواه في ء
ثمّ على النبيّ هادي الأمّة	وآله الغرّ صلاة جمّة[1]

وكيف لا يُحمد الله الذي وهب ما به تُكتسب السعادة التي ليس كمثلها سعادة، والحياة التي ليس كمثلها حياة. فالسعادة بهجةٌ، والبهجة ابنة المشاهدة التي تململت في رحم المعرفة فهي بنت المشاهدة، وهي التي اختصرها أهل المعرفة، وأصلها وفرعها وأوّلها وآخرها وظاهرها وباطنها بقول صادقهم: «رحمَ الله امرأً عرفَ من أين وفي أين وإلى أين»[2]، و«مَنْ عرفَ نفسه فقد عرفَ ربّه»[3].

ولا شكّ أنّ الموجودَ الربَّ ليس كمثله شيء لا في ذاتٍ ولا صفةٍ ولا فعلٍ، فهو الأتمّ، بل هو فوق التمام والكمال، والمعرفة به لا تدانيها معرفة، والحائز عليها ـ لاسيّما مقامها الأرفع ـ ينحدر عنه السيل ولا يرقى إليه الطير.

فإذا كان الأمر كذلك ـ وهو بلا شكٍّ كذلك ـ فالذي يستحقّ أن تُشدَّ إليه الرحال ويُنفق في سبيله المال، ويُتحمّل من أجله فرقة الأهل والعيال وشظف

---

(١) شرح المنظومة، قسم الحكمة: ج٢ ص٣٥.

(٢) الحكمة المتعالية في الأسفار العقليّة الأربعة: ج٨ ص٣٥٥؛ التفسير الكاشف، محمد جواد مغنية: ج٧ ص٤٧٧.

(٣) عوالي اللآلئ: ج٤ ص١٠٢، الحديث رقم (١٤٩)؛ بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمّة الأطهار: ج٢ ص٣٢، كتاب العلم: ح٢٢.

www.ketab.ir

العيش وقسوته، هو كسب هذه المعرفة وتحصيلها. وصاحبها هو الآية الحقّة؛ وذلك لأنّه بها صار عالَماً علمياً مضاهياً للعالَم العيني، والعالَم إنّما سمّي عالَماً لأنّه علامةٌ على الله تعالى ذاتاً وصفةً وفعلاً. كيف والكثيرون يتّخذون من العالم سبيلاً لإثبات أصل ونحو وجوده وفعله؛ فهو الآية، لأنّه امتلك المعارف التي تُصيّر صاحبها متخلّقاً بأخلاق الله[1]، فيصبح كما أشار إليه الحكيم السبزواري رحمه الله:

فيقلب الهوا ويحدث المطر ... يبدأ طوفاناً يبيد مَن فجر
يطيعه العنصر طاعة الجسد ... للنفس فالكلّ كجسمه يُعدّ[2]

وكيف لا تكون تلك المعرفة على هرم الشرف وسنامه، وهي التي عرّفها صاحب الحكمة المطلقة بقوله عزّ من قائل: ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْراً كَثِيراً﴾ (البقرة: ٢٦٩)، وهي التي عرّفها أهل الفنّ بأنّها: «استكمال النفس الإنسانية بمعرفة حقائق الموجودات على ما هي عليها، والحكم بوجودها تحقيقاً بالبراهين لا أخذاً بالظنّ والتقليد بقدر الوسع الإنساني»[3].

الأصول الخمسة

ولا شكّ أنّ معرفة حقائق الموجودات على ما هي عليه يفضي إلى إثبات وجود موجودٍ وجودُهُ عين ذاته، فهو واجب الوجود بالذات، ويمتنع غيره المفروض ثانياً أو مِثلاً أو شِبهاً، ويثبت أنّ كلّ ما سواه مفتقرٌ إليه في وجوده، فهو مبدأ كلّ شيء. وبما أنّه واجب الوجود من جميع الكمالات، لا يشذ عن ذاته كمالٌ من الكمالات، فهو القادر، العالم، الحكيم، الجواد، الذي لا تنقص خزائنه، ولا

---

(١) إشارة إلى قوله ﷺ: «تخلّقوا بأخلاق الله» المنقول في بحار الأنوار: ج٦١ ص١٢٩، باب ٢٤؛ سلسلة الأحاديث الضعيفة: ج٦ ص٣٤٦، الحديث رقم (٢٨٢٢).

(٢) شرح المنظومة، قسم الحكمة: ج٥ ص٢٤٩.

(٣) الحكمة المتعالية في الأسفار العقلية الأربعة: ج١ ص٢٠.

www.ketab.ir

تزيده كثرة العطاء إلّا جوداً وكرماً، فيفعل لغرضٍ ولغايةٍ، وذلك لتمامه وكماله. فالصمد الذي لا يفقد شيئاً، والذي يمتنع أن يعاب بشيء كالبخل، والعالمُ بالمستحقّ، كيف لا يعطي ويجود؟

بل السؤال في حقّه تعالى: «لِمَ أعطى؟» ليس صحيحاً؛ وذلك لأنّ مورده ـ أي السؤال ـ هو الذي يمكن أن لا يعطي؛ لعجزٍ أو لجهلٍ أو لبخلٍ أو سفه، وهو المتعالي عن ذلك علوّاً كبيراً.

إذن، فحكمته تقتضي العناية بما خلق، والإنسان هو غاية الخلق، وهو فعلٌ له تعالى، وكلّ فعلٍ له غرض، فللإنسان غرضٌ من وجوده، وقد بيّن الله ذلك في قوله: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ (الذاريات: ٥٦)، والعبادة فعلٌ إراديّ اختياريّ مبدؤه العلم، كما هو حال كلّ فعلٍ اختياريّ.

إذن، لا عبادة حقّة من دون معرفة، والإنسان كلّ الإنسان غير صالح لامتلاك هذه المعرفة مستقلّاً عن السماء، إلا أنّه في نشأةٍ غير نشأةِ الدنيا والنقصِ والعالم الأخسّ الأنزل. ومن ثمّ، فلابدّ من وسيلةٍ لحصول الإنسان على هذه المعرفة، وهنا يأتي دور النبوّة والإمامة، ثمّ نجد أنّ عدله تعالى يقتضي أن يثاب المطيع ويعاقب العاصي؛ وإذ لا صلاحيّة لهذه النشأة أن تكون محلّاً لظهور هذا العدل[1]، فلابدّ من نشأةٍ أخرى، حيث يثاب المطيع ويعاقب العاصي.

إذن، فالأصول خمسة:

١. **توحيده تعالى**: وهو أصل؛ لأنّه لا اختلاف كثيراً على مرّ العصور في وجوده، وإنّما في توحيده، وليس في مطلق توحيده، حيث كثر الخلل عند الناس في التوحيد على مستوى الفاعليّة والاستقلال بالتأثير.

٢. **العدل**: حيث يترتّب على هذه الصفة النبوّة والإمامة والمعاد كذلك،

---

(١) وهذا ما سوف نقف عليه في أبحاث المعاد من هذا الكتاب.

www.ketab.ir

وإنّما أُفرِدت كصفةٍ مستقلّة؛ لوقوع الخلاف فيها، لا على نحوٍ مباشر، وإنّما لإنكار البعض الحسن والقبح الذاتيّين.

٣. **النبوّة**: وهي صلة الوصل الأولى بين السماء والأرض.

٤. **الإمامة**: وهي صلة الوصل الثانية حيث تؤدّي دوراً لا يقلّ خطراً وأهمّيةً عن الدور الذي تنهض به النبوّة ﴿...وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ...﴾ (المائدة: ٦٧).

٥. **المعاد**: النشأة الآخرة، يوم الدين والجزاء. وبهذا يكتمل قوسا المعرفة المطابقان لقوسي الوجود: النزول والصعود، و﴿...إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ (البقرة: ١٥٦).

علم الكلام

لا أريد ـ إنّ المجال ـ أن أبحث مفصّلاً في شؤون هذا العلم وتفاصيله وشراشره، ومَن هو أول مَن تكلّم، وما هي الظروف والملابسات، والفِرق الكلاميّة، ومشاهير أعلامها، وما تختصّ كلٌّ منها من آراء؛ فإنّ هذا موكولٌ لدراساتٍ تعدُّ لهذا الغرض، وما نحن فيه ليس كذلك. إنّما يراد طرح الأمور الأربعة التالية:

١. تعريف علم الكلام. ٢. وجه التسمية. ٣. شرفه. ٤. وظيفته.

تعريف علم الكلام

بعد أن تناول المحقّق اللاهيجي رحمه الله التعاريف المتعددة لعلم الكلام قال: «الأَولَى أن يقال: الكلام صناعةٌ نظريّة يُقتدر بها على إثبات العقائد الدينيّة...»[1].

أمّا موضوع هذا العلم فقد تعدّدت الآراء فيه أيضاً، حيث ذهب البعض إلى أنّه الموجود بما هو موجود، وهو رأي المتقدّمين.

وذهب بعض المتأخّرين ـ كالقاضي والأرمويّ ـ إلى: أنّه ذات الله تعالى. وأمّا أكثر المتأخّرين فقد ذهبوا إلى أنّه المعلوم من حيث يتعلّق بإثبات العقائد الدينيّة، وقد نُحدش في كلٍّ من الآراء الثلاثة، ورأى صاحب الشوارق: أنّ موضوع علم

---

(١) شوارق الإلهام في شرح تجريد الكلام: ج١ ص٥١.

www.ketab.ir

الكلام هو نفس كلام العلم الإلهي، وهو: الموجود بما هو موجود[١].

وجه التسمية

ذُكِرت آراء متعدّدة لبيان وجه تسمية هذا العلم بعلم الكلام، فقد قال التفتازاني: «...وسمّوا العلم بها فقهاً وخصّوا الاعتقاديّات باسم الفقه الأكبر، والأكثرون خصّوا العمليّات باسم الفقه، والاعتقاديّات بعلم التوحيد والصفات ـ تسميةً بأشهر أجزائه وأشرفها ـ وبعلم الكلام؛ لأنّ مباحثه كانت مصدّرةً بقولهم: الكلام في كذا وكذا، ولأنّ أشهر الاختلافات فيه كانت مسألة كلام الله تعالى أنّه قديمٌ أو حادث؟ ولأنّه يورث قدرةً على الكلام في تحقيق الشرعيّات، كالمنطق في الفلسفيّات، ولأنّه كثر فيه الكلام مع المخالفين والردّ عليهم ما لم يكثر في غيره، ولأنّه لفوز أدلّته صار كأنّه هو الكلام دون ما عداه...»[٢].

وقد ذكر العلّامة الحلّي أوجهاً عدّة في نهاية المرام؛ قال: «كلّ علمٍ من العلوم لا ينفكّ عن البحث والمناظرة والكلام، لكن خُصّ هذا العلم باسم الكلام؛ لوجوه:

أ. العادة قاضيةٌ بتسمية البحث في دلائل وجود الصانع تعالى وصفاته وأفعاله، والكلام في الله تعالى وصفاته، فسمّي هذا العلم بذلك....

ب. أنكرَ جماعة البحث في العلوم العقليّة والبراهين القطعيّة، فإذا سئلوا عن مسألةٍ تتعلّق بالله تعالى وصفاته وأفعاله والنبوّة والمعاد قالوا: نُهينا عن الكلام في هذا العلم، فاشتهر هذا العلم بهذا الاسم.

ج. هذا العلم أسبق من غيره في المرتبة... فكان أحقّ بهذا الاسم.

د. هذا العلم أدقّ من غيره من العلوم، والقوّة المميّزة للإنسان ـ وهي النطق ـ إنّما تظهر بالوقوف على أسرار هذا العلم، فكان المتكلّم فيه أكمل الأشخاص

---

(١) شوارق الإلهام في شرح تجريد الكلام: ج١ ص٥١.

(٢) شرح المقاصد في علم الكلام: ج١ ص٦.

www.ketab.ir

البشريّة، فسمّي هذا بالكلام؛ لظهور قوّة التعقّل فيه.

هـ. هذا العلم يوقف منه على مبادئ سائر العلوم، فالباحث عنه كالمتكلّم في غيره، فكان اسمه بعلم الكلام أَولَى.

و. إنّ العارفين بالله تعالى يتميّزون عن غيرهم من بني نوعهم؛ لما شاهدوه من ملكوت الله تعالى وأحاطوا بما عرفوه من صفاته، فطالت ألسنتهم على غيرهم، فكان علمهم أولى باسم الكلام»[1].

شرف علم الكلام

لا شكّ أنّ العلوم كلّها تشترك في أنّها شريفةٌ ولكنّها تتفاوت في الشرف والفضل؛ ومردّ ذلك إلى شرف الموضوع، فالموضوع الأشرف يصيّر علمه أشرف وأفضل، ولا شكّ أنّ العلم الذي يكون موضوعه الواجب تعالى الذي لا أشرف منه ـ وهو مبدأ ومنتهى كلّ شيء، وبه وبمعرفته تُشرّف الأشياء ـ هو أشرف العلم، وقد تناول الفخر الرازي هذا الأمر في كتابه (المطالب العالية)[2]، حيث عدّد وجوهاً أربعة يكون بها العلم أشرف إليك اثنين منها:

١. **شرف المبحوث عنه**، أي الموضوع وهو الذي يبحث في العلم عن عوارضه الذاتية. وموضوع هذا العلم هو ذاته تعالى وصفاته، والحقّ تعالى أشرف الموجودات. وقد عرض لبيان ذلك وجوهاً عدّة:

أ. هو غنيّ عن القابل والفاعل.

ب. هو واحدٌ يمتنع وجود شريكٍ له.

ج. هو مبدأ كلّ الممكنات؛ لأنّ كلّ ما عداه ممكنٌ محتاجٌ إليه.

د. ما سواه محتاجٌ إليه حدوثاً وبقاءً.

---

(١) نهاية المرام في علم الكلام: ج١ ص٨ ـ ٩.

(٢) المطالب العالية من العلم الإلهي: ج١ ص٣٧.

www.ketab.ir

إذن، فالعلم الباحث عن موضوع (أشرف) كهذا، هو أشرف.

٢. شدّة الحاجة إليه وكمال الانتفاع به: فالعلم الإلهي هو المحصّل للسعادة الحقيقيّة والمخلّص من الشقاوة كذلك، حيث تحصل به السعادة العقليّة الروحانيّة التي هي أشرف وأشدّ وآكد من كلّ اللذائذ الحسّية والخياليّة، ورأس السعادة العقليّة وسنامها في إدراك المعرفة الإلهيّة، وهكذا ما يكون من خلال دراسة هذا العلم.

وظيفة علم الكلام

علم الكلام ينهض بالوظائف التالية[1]:

١. **استنباط العقائد الدينيّة؛** وذلك من منابع الدين المعتبرة، كالكتاب والسنّة، والأسلوب المتّبع في هذه الوظيفة غالباً ما يكون المنهج العقلي.

٢. **التوضيح؛** بعد أن ينتهي المتكلّم من الوظيفة الأولى فهو مدعوّ لأن ينخرط في الأخرى التي لا تقلّ أهمّيّة عن الأولى، ألا وهي وظيفة توضيح وشرح وإثبات ما استنبطه من عقائد ومفاهيم دينيّة للآخرين.

٣. **تنظيم العقائد المستنبطة** بشكلٍ يتّضح للآخرين ما بينها من ترابطٍ وانسجام؛ لتكون منظومةً عقائديّةً واحدةً متكاملةً لا يناقض بعضها الآخر، بل يعضد بعضها الآخر.

٤. **التوجيه؛** أي: دفع ما قد يتراءى من خللٍ وانحرافٍ في بعض العقائد الدينيّة؛ حيث يتمّ استنباط عصمة الأنبياء مثلاً من المتون المعتبرة، كالكتاب الذي يأمر بإطاعة أُولي الأمر مطلقاً، أو الأمر بالكون مع الصادقين. ثمّ يتمّ توضيح هذا المفهوم وبيان منشئه وحدوده. إذن، فالنبيّ لابدّ أن يكون معصوماً، ولا نبوّة تثبت إلّا بعد إثبات الحسن والقبح العقليّين، حيث يلزم من عدم البعثة نقض

---

(١) درآمدى بر كلام جديد «مقدّمة على الكلام الجديد»: ص١٨.

www.ketab.ir

الغرض، ونقض الغرض قبيحٌ عقلاً، وهو تعالى لا يفعل القبيح.

ثمّ وبعد أن تثبت العصمة يأخذ المتكلّم في توجيه ما نُسبَ إلى الأنبياء من أفعالٍ تتنافى بظاهرها مع العصمة، وهو ـ التوجيه ـ مهمّةٌ في غاية الخطورة والأهمّية؛ وذلك لأنّ عدم طرح التوجيه اللائق للمتسائلين أدّى إلى سوء ظنّ بعض، وانحراف بعضٍ آخر، وذلك كمسألة الشرور والمصائب من جهة، والعدل الإلهي والنظام الأحسن من جهة أخرى.

أمّا بعد، فهذه دروسٌ ألقاها سماحة أستاذنا آية الله العلّامة السيّد كمال الحيدري (حفظه الله) قبل عقدين أو أكثر، شارحاً للباب الحادي عشر للعلّامة الحلّي ﷺ وشرحه المشهور للفاضل السيوريّ، فعمدتُ إليها فأعملتُ فيها الجهد في تدوينها، والذي أرجو أن يكون أهلاً لبيانها، وعرضها العرض الذي يساهم في رواجها بين طلّاب هذه المعارف التي جاء الحضُّ على كسبها والتفقّه فيها كتاباً وسنّة، آملاً أن يكون هذا العمل محطّ القبول ممّن يُرجى قبوله، إذ هو غاية آمال العارفين.

ملاحظة: بما أنّ الشرح الذي بين يدي العزيز الطالب إنّما هو شرحٌ للباب الحادي عشر وشرحه، فقد وُزِّع المتن (وهو للعلامة الحلّي) مع شرحه (الذي هو للسيوريّ) على نصوص، وتمّ التعامل معهما على أنّهما من واحد يراد شرحه.

والحمد لله أوّلاً وآخراً

عبد الله الأسعد

غروب يوم الخميس ٤ جمادى الأولى ١٤٣٥هـ

٢٠١٤/٣/٦م

www.ketab.ir

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي دلّ على وجوب وجوده افتقار الممكنات، وعلى قدرته وعلمه إحكام المصنوعات، المتعالي عن مشابهة الجسمانيّات، المنزّه بجلال قدسه عن مناسبة الناقصات، نحمده حمداً يملأ أقطار الأرض والسماوات، ونشكره شكراً على نعمه المتظاهرات المتواترات، ونستعينه على دفع البأساء وكشف الضراء في جميع الحالات.

والصلاة على نبيّه محمدٍ صاحب الآيات والبيّنات، المكمِّل بطريقته وشريعته سائر الكمالات، وعلى آله الهادين من الشُّبه والضلالات، الذين أذهبَ الله عنهم الرجس وطهّرهم من الزلّات، صلاةً تتعاقب عليهم كتعاقب الآنات.

أمّا بعد، فإنّ الله تعالى لم يخلق العالم عبثاً فيكون من اللاعبين، بل لغايةٍ وحكمةٍ متحقّقةٍ للناظرين، وقد نصّ على تلك الغاية بالتعيين، فقال: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ (الذاريات: ٥٦)، فوجب على كلّ مَن هو في زمرة العاقلين إجابة ربّ العالمين. ولمّا كان ذلك متعذِّراً بدون معرفته باليقين، وجبَ على كلّ عاقلٍ مكلّفٍ تنبيه الغافلين وإرشاد الضالّين، بتقرير مقدّماتٍ ذوات إفهامٍ وتبيين.

فمن تلك المقدّمات المقدّمة الموسومة بـ(الباب الحادي عشر)، من تصانيف شيخنا وإمامنا الإمام الأعلم الأفضل الأكمل، سلطان أرباب التحقيق، أستاذ أولي التنقيح والتدقيق، مقرّر المباحث العقليّة، مهذّب الدلائل الشرعيّة، آية الله في العالمين، وارث علوم الأنبياء والمرسلين،

www.ketab.ir

جمال الملّة والدين أبي منصور الحسن بن يوسف بن علي المطهّر الحلّي ـ قدّس الله روحه ونوّر ضريحه ـ فإنّها مع وجازة لفظها كثيرة العلم، ومع اختصار تقريرها كبيرة الغُنْم.

وكان قد طُلب منّي في سالف الزمان أن أكتب شيئاً يعين على حلّها بتقرير الدلائل والبرهان، إجابة لالتماس بعض الإخوان، ثُمّ عاقني عن إتمامها عوائق الحدثان، ومصادمات الدهر الخوّان؛ إذ كان صادّاً للمرء عن بلوغ إرادته وحائلاً بينه وبين طلبته، ثُمّ اتّفق الاجتماع والمذاكرة في بعض الأسفار مع تراكم الأشغال، وتشويش الأفكار، فالتمسَ منّي بعض السادات الأجلاء أن أُعيد النظر والتذكّر لِما كنتُ قد كتبت أوّلاً، والمراجعة إلى ما كنت قد جمعت، فأجبت ملتمسَه؛ إذ قد أوجب الله تعالى عليّ إجابته. هذا مع قلّة البضاعة، وكثرة الشواغل المنافية للاستطاعة، وها أنا أشرع في ذلك مستمدّاً من الله تعالى المعونة عليه، ومتقرّباً به إليه، وسمّيته «النافع يوم الحشر في شرح الباب الحادي عشر»، وما توفيقي إلّا بالله عليه توكّلت وإليه أنيب.

www.ketab.ir